

تلخيص كتاب  
مختصر جامع العلوم  
والحكم

لمحمد بن سليمان البنا

سَمُو

<https://t.me/somouo>

# الفهرس

- ترجمة الإمام ابن رجب الحنبلي..... ٤
- ١- إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ..... ٥
- ٢- بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٠
- ٣- بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ..... ١٤
- ٤- إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ..... ١٥
- ٥- مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا..... ١٧
- ٦- الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيِّنٌ..... ١٨
- ٧- الدِّينُ النَّصِيحَةُ..... ٢١
- ٨- أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ..... ٢٣
- ٩- مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ..... ٢٥
- ١٠- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا..... ٢٧
- ١١- دَعُ مَا يَرْيِيكَ إِلَى مَا لَا يَرْيِيكَ..... ٢٩
- ١٢- مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ..... ٣٠
- ١٣- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ..... ٣١
- ١٤- لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحْدَى ثَلَاثٍ..... ٣٣
- ١٥- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا..... ٣٤
- ١٦- لَا تَغْضَبْ..... ٣٧
- ١٧- إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..... ٣٩
- ١٨- اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ..... ٤٠
- ١٩- يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ..... ٤٣
- ٢٠- إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى..... ٤٨
- ٢١- آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقَمْتُ..... ٥٠

- ٢٢- أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتَ الْمَكْتُوبَاتِ ..... ٥١
- ٢٣- الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ..... ٥٣
- ٢٤- يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ..... ٥٦
- ٢٥- ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ ..... ٦١
- ٢٦- كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ..... ٦٣
- ٢٧- الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ..... ٦٥
- ٢٨- أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ..... ٦٧
- ٢٩- أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ..... ٧٠
- ٣٠- إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ ..... ٧٢
- ٣١- ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ..... ٧٤
- ٣٢- لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ ..... ٧٧
- ٣٣- لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ..... ٧٩
- ٣٤- مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا ..... ٨٠
- ٣٥- لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا ..... ٨٣
- ٣٦- مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ..... ٨٨
- ٣٧- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ..... ٩١
- ٣٨- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ..... ٩٣
- ٣٩- إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي ..... ٩٦
- ٤٠- كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ..... ٩٧
- ٤١- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ ..... ٩٩
- ٤٢- يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي ..... ١٠٠
- ٤٣- الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا ..... ١٠٢
- ٤٤- الرِّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تَحَرَّمُ الْوِلَادَةُ ..... ١٠٣
- ٤٥- إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ ..... ١٠٤

- ٤٦- كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ..... ١٠٥
- ٤٧- مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَِعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ..... ١٠٦
- ٤٨- أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا..... ١٠٧
- ٤٩- لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ..... ١٠٩
- ٥٠- لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ..... ١١٠

# ترجمة الإمام ابن رجب الحنبلي

## ١- اسمه ونسبه:

هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي  
الدمشقي الحنبلي.

## ٢- مولده ومكانته:

ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، قدم دمشق وتعلم على ابن القيم  
وطبقته، وكان سلفيا أثريا حنبليا، فقيها مفسرا نحويا مؤرخا،  
عالما بالعلل والرجال.

## ٣- كتبه:

- ١- فتح الباري شرح صحيح البخاري. ٢- شرح سنن الترمذي.
- ٣- لطائف المعارف. ٤- جامع العلوم والحكم.

## ٤- وفاته:

توفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ، عن ٥٩ عاما.



## ١- إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَةَ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحَيْهِمَا الَّذِينَ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

### ١- إسناده الحديث:

تفرد به يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وليس له طريق يصح غير هذا، قاله عليّ ابن المديني والخطابي.

### ٢- أهمية الحديث:

- ١- اتفق العلماء على صحته وتلقيه بالقبول، وبه صدر البخاري صحيحه وجعله كالخطبة له، وقال ابن مهدي: (لو صُنِفَتِ الْأَبْوَابُ لَجُعِلَتْ حَدِيثُ عُمَرَ فِي كُلِّ بَابٍ).
- ٢- هو من الأحاديث التي يدور عليها الدين، قال الشافعي: (هذا الحديث ثلث العلم).

وقال أحمد: (أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: "الأَعْمَالُ  
بِالنِّيَّاتِ" و"مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا" و"الْحَلَالُ بَيْنٌ").

### ٣- "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ":

وفي رواية "الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" وكلاهما يقتضي الحصر.

واختلفوا في تقدير "الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ": فقليل التقدير:

١- الأعمال صحيحة مقبولة بالنيات، والأعمال هنا هي  
الشرعية المفتقرة إلى نية، قاله كثير من المتأخرين.

٢- الأعمال واقعة حاصلة بالنيات، فالأعمال على عمومها.

٣- الأعمال مقبولة أو مردودة بالنيات.

### ٤- معنى "وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى":

لا يحصل له من عمله إلا ما نوى، إن نوى خيرا حصل له خير  
وإن شرا فشر.

والنية تقع بمعنيين:

١- تمييز العبادات بعضها عن بعض كتمييز الظهر عن  
العصر، وتمييز العبادات عن العادات كتمييز غسل الجنابة عن  
غسل التنظف.

٢- تمييز المقصود بالعمل هل هو الله وحده أم غيره، وبهذا  
المعنى وردت في القرآن بألفاظ مقاربة للنية.

ووردت في السنّة في الصحيحين عن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِيَّ امْرَأَتِكَ"**.

ووردت في كلام السلف فعن زبيد الياامي قال: (إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب)، وقال ابن المبارك: (رب عمل صغير تُعظمه النية ورب عمل كبير تُصغره النية).

## ٥- **"فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ":**

ذكر مثالا على الأعمال التي صورتها واحدة ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات وهي الهجرة فباقي الأعمال كالجهاد والحج مثلها في ذلك.

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: **"مَنْ قَاتَلَ لِيَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"**.

## ٦- **"فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ":**

أعاد جواب الشرط بلفظه؛ لأن حصول ما نواه من هجرته هو نهاية المطلوب في الدنيا والآخرة.



٧- "وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ":

قال: "إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" فلم يذكره بلفظه؛ تحقير لما طلبه من أمر الدنيا واستهانة به.

واشتهر أن قصة مهاجر أم قيس هي سبب الحديث، وذكره كثير من المتأخرين، وليس له إسناد يصح.

## ٨- أقسام العمل لغير الله:

١- يكون رياء محضا كحال المنافقين في صلاتهم، وهذا لا يكاد يصدر من مؤمن إلا في الأعمال الظاهرة كالحج والصدقة فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا الرياء محبط للعمل.

٢- يكون العمل لله ويشاركه الرياء:

أ- إن شاركه من أصله فهو باطل أيضا، لقوله صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ".

ب- إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ الرياء:

١- إن كان خاطرا ودفعه؛ فلا يضره بغير خلاف.

٢- إن استرسل معه: اختلف فيه ورجح أحمد وابن جرير أن عمله لا يبطل وأنه يُجازى بنيته الأولى، وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف في عمل يرتبط أوله بآخره كالصلاة والصيام، أما ما لا ارتباط فيه كالقراءة ونشر العلم فإنه ينقطع بالرياء ويحتاج إلى تجديد نية.

٣- إذا كان العمل خالصا ثم حدث الثناء من المؤمنين فاستبشر  
لذلك؛ فلا يضره لحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قِيلَ  
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ  
الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ".

## ٩- أقوال السلف في الإخلاص والرياء:

قال سهل بن عبد الله: (ليس على النفس شيء أشق من  
الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب) وقال يوسف بن الحسين  
الرازي: (أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط  
الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر).



## ٢- بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ "أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ" قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

## ٢- تفسير الإيمان:

فسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة، وقد ذكر القرآن هذه الأصول الخمسة في مواضع، كقوله تعالى: "وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ".

والإيمان بالرسول يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة وصفات الله واليوم الآخر وغير ذلك.

ولأجل دخول الإيمان بالقدر في تفسير الإيمان؛ رواه ابن عمر محتجا به على من أنكر القدر، وأخبر أنه لا تُقبل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر.

**٢- الرد على من قال: أن الحديث جعل الأعمال من الإسلام مع أن السف أنكروا على من أخرج الأعمال من الإيمان:**

نقول: الأمر على ما ذكرت، لكن دل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"**.

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو فد عبد القيس: **"أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ. ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ"**.

**وجه الجمع:** يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسمياتٍ متعددةٍ عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌّ على باقيها، فاسم الإيمان والإسلام إذا أُفرد أحدهما دخل فيه الآخر، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي.

### ٣- تفسير الإحسان "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ":

يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة؛ وهي استحضار أنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والهيبة والتعظيم وبذل الجهد في تحسين العبادة وإتمامها.

### ٤- "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ":

اختلفوا فيه:

١- هو تعليل للأول، فهو يستعين بإيمانه أن الله يراه على مراقبة الله في العبادة.

٢- إشارة أن من شقّ عليه أن يعبد الله كأنه يراه، فليعبد الله على أن الله يراه فليستحي من نظره إليه، قال بعضهم: (اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك)، فهنا مقامان:

أحدهما: مقام الإخلاص فيستحضر فيه مشاهدة الله إياه فلا يلتفت في عمله لغير الله.

والثاني: مقام المشاهدة فيعمل على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان.

### ٥- "قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ":

فَعِلْمُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ فِي وَقْتِ السَّاعَةِ سَوَاءٌ، إشارة أن الله تعالى استأثر بعلمها، وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ" ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}.

## ٦- "فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا":

يعني: عن علاماتها التي تدل على اقترابها.

وذكر علامتين للساعة: ١- "أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا": ومعنى ربته: سيدتها ومالكتها، إشارة إلى فتح البلاد حتى تكثر السراري، فتلد الأمة السرية ولدا لسيدها وولد السيد بمنزلة السيد، فيصير ولد الأمة بمنزلة سيدها.

٢- "وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ": العالة: الفقراء، والمراد: أن أسافل الناس يصيرون رؤسائهم، وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته. ومضمون ما ذكر من أشراف الساعة يرجع إلى أن الأمور توسد إلى غير أهلها كما في الحديث: "إِذَا وُسِدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" وهذا كله من انقلاب الحقائق آخر الزمان، وانعكاس الأمور.



### ٣- بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

#### ١- المراد من هذا الحديث:

أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالدعائم لبنانيه يزول الإسلام بفقدها جميعا، ويزول كذلك بفقد الشهادتين وحدهما. أما الصلاة فقد وردت أحاديث تدل على أن من تركها فقد خرج من الإسلام، كحديث: "بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ" وقال عمر: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة) وقال عبد الله بن شقيق: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الأعمال شيئا تركه كفر غير الصلاة). وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف، وهو قول ابن المبارك وأحمد، وحكى إسحاق عليه إجماع أهل العلم.

#### ٤- أسباب عدم ذكر الجهاد في الحديث مع أنه أفضل الأعمال:

- ١- الجهاد فرض كفاية عند الجمهور، بخلاف هذه الأركان.
- ٢- الجهاد يُستغنى عنه في آخر الدهر عند نزول عيسى عليه السلام وعدم بقاء ملة غير الإسلام، بخلاف هذه الأركان فهي واجبة على المؤمنين إلى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك.

\*\*\*

## ٤- إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:  
حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ:  
«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً  
مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ،  
فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ  
وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ  
الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ  
أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ  
الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

### ١- معنى بالحديث:

تقلب الجنين في ثلاثة أطوار، فيكون في أربعين يوما نطفة، ثم  
علقة وهي قطعة من دم، ثم مضغة وهي قطعة من لحم، ثم بعد  
ذلك ينفخ الملك فيه الروح، ويكتب له الأربع كلمات.

وقد ورد في القرآن تقلب الجنين في هذه الأطوار، وفي  
موضع زيادة عليها قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّةٍ  
مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً  
فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا  
ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ فِتْنَارِكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" وكان ابن  
عباس يقول: (خلق الإنسان من سبع) ثم يتلو هذه الآية.



## ٢- "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ":

قيل: هو مدرج من كلام ابن مسعود، وقد رُوي هذا المعنى من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، وقوله: "فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ": إشارة إلى: أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب خصلة سيئة خفية، وكذلك فيمن يعمل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خير خفية فتغلب عليه فتحسُن خاتمته.

ومن هنا كان الصحابة والسلف يخافون على أنفسهم النفاق، وقال الثوري: (أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً) ويبيكي ويقول: (أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت).

فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر؛ وفي الحديث: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ".



## ٥- مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

### ١- أهمية هذا الحديث:

هو أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أن حديث "الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ميزان للأعمال في باطنها، والحديث يدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمر الشارع فهو غير مردود، والمراد بـ (أمره): دينه وشرعه.

### ٢- أنواع العبادات التي تكون مخالفة للشريعة:

- ١- ما كان منها خارجا عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود، وعامله يدخل تحت قوله تعالى: "أَمْ لَهُمْ شُرَكَوُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ".
- ٢- ليس كل قربة في عبادة يكون قربة في غيرها، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي نذر أن يقوم في الشمس؛ بأن يقعد، مع أن القيام عبادة في موضع آخر كالصلاة لكن يتبع في هذا ما وردت به الشريعة في مواضعها، ومن تقرب بعبادة نُهي عنها بخصوصها كمن صام يوم العيد؛ فهو مردود كذلك.
- ٣- إذا كان العمل أصله مشروع ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع، أو أخل بمشروع؛ فهذا مخالف للشريعة بقدر إدخاله أو إخلاله.

## ٦- الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

١- معنى " إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ":

معناه: أن الحلال المحض كالبيع بين لا اشتباه فيه، والحرام المحض كالربا أيضا بين، ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس كأكل لحم الخيل، هل هي من الحلال أم من الحرام؟ أما الراسخون في العلم فلا يشتبه عليهم ذلك.

والله أنزل الكتاب وبين فيه للأمة ما تحتاجه، قال تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" ووكّل بيان ما أشكل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" وما قبض الرسول حتى أكمل له ولأئمة الدين، قال تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا".

## ٢- حكم معاملة من اختلط ماله بين الحرام والحلال:

إِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَالِهِ الْحَرَامَ، فَيَنْبَغِي تَجَنُّبُهُ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهُ حَلَالًا جَازَتْ مَعَامَلَتُهُ، وَإِنْ اشْتَبَهَ الْأَمْرُ فَهُوَ شَبْهَةٌ، وَالْوَرَعَ تَرْكُهُ.

وَرَخَّصَ قَوْمٌ مِنَ السَّلَفِ فِي الْأَكْلِ مِمَّنْ يَعْلَمُ فِي مَالِهِ حَرَامٌ مَا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْحَرَامِ بَعِيْنُهُ، فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: (أَجِيبُوهُ، فَإِنَّمَا الْمَهْنُ لَكُمْ وَالْوِزْرُ عَلَيْهِ).

ومتى علم أن عين الشيء حرام، فإنه يحرم تناوله.

## ٣- أقسام الناس في الأمور المشتبهة:

١- من يتقى الشبهات؛ فهذا قد استبرأ لدينه وعرضه، ومعنى استبرأ: طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص.

٢- من يقع في الشبهات، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه وقع في الحرام؛ وهذا يُفسر بمعنيين: أحدهما: أن يكون ارتكابه للشبهة ذريعة إلى ارتكابه الحرام بالتدرج والتسامح. والثاني: أن من أقدم على ما هو مشتبه عنده؛ فإنه لا يأمن أن يكون حراماً في نفس الأمر، فيصادف الحرام وهو لا يدري.

٤- "كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ لِلَّهِ مَحَارِمَهُ":

جعل النبي صلى الله عليه وسلم مثل المحرمات كالحمى الذي تحميه الملوك، وجعل من يرعى حول الحمى جديراً بأن يدخل الحمى، فذلك من تعدى الحلال ووقع في الشبهات فقد قارب

الحرام ويوشك أن يقع فيه، فينبغي أن يجعل الإنسان بينه وبين الحرام حاجزا، قال ابن عيينة: (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه).

## ٥- "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ":

إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه؛ بحسب صلاح حركة قلبه:

١- إن كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله وخشيته؛ صلحت حركات الجوارح كلها، وتوقى الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات.

٢- إذا كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع هواه، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب هوى القلب.

ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم السالم من الآفات الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته؛ قال تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ".

ولا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له، قال الحسن: (ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت).

\*\*\*

## ٧- الدِّينُ النَّصِيحَةُ

عَنْ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

### ١- أهمية الحديث، ومعنى النصيحة:

قيل: إن الحديث أحد أرباع الدين.

والنصيحة لغة: الخُلوص، ونصحتُ العسل: خلصته من الشمع.  
وهي: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً.

### ٢- أقسام النصيحة كما ورد في الحديث:

- ١- النصيحة لله تعالى: بتوحيده، ووصفه بصفات الكمال والجمال، وطاعته، والحب والبغض فيه، وما أشبه ذلك.
- ٢- النصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه، وتدبر آياته.
- ٣- النصيحة لرسوله: الإيمان به، وطاعته، وإحياء سنته.
- ٤- النصيحة لأئمة المسلمين: إعانتهم على الحق وتذكيرهم به.
- ٥- النصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم لمصالحهم، وتعليمهم، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

### ٣- أعظم أنواع النصح:

أن ينصح لمن استشاره في أمره، وفي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ  
سِتٌّ" وفيه: "وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ".

وكان السَّلَفُ إذا أرادوا نصيحةَ أحدٍ؛ وعظوه سراً، وقال  
الفضيل: (المؤمن يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، والفاجر يَهْتِكُ وَيُعِيرُ).



## ٨- أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

### ١- تخریج الحديث:

لفظة: "إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ" تفرد بها البخاري دون مسلم.

وقد رُوي معنى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، في البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلُّوا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ".

### ٢- "عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ":

يدلّ على أنه عند هذا القول كان مأمورا بالقتال، وذلك بعد الهجرة للمدينة، ومن المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الشهادتين فقط من كل من جاءه ليدخل في الإسلام، ويعصم دمه بذلك؛ وقد أنكر على أسامة بن زيد قتله من قال: (لا إله إلا الله) لما رفع عليه السيف.



### ٣- هل الشهادتين تعصم بمجردهما أم لا بد من الإتيان بالشرائع؟

كلمتي الشهادتين بمجردهما تعصم من أتى بهما، فإن أقام الصلاة وأتى بشرائع الإسلام؛ فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

فإن أخلّ بشيء من هذه الأركان: فإن كانوا جماعة قوتلوا، لقوله تعالى: **"فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ"**. وعن أنس: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ.

### ٤- معنى **"وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى"**:

الشهادتين مع إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة، فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقاً، أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذباً فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

وقد استدلل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق، ولم ير قتله بمجرد ظهور نفاقه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعاملُ المنافقين، ويُجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن، وهذا قول أكثر العلماء.



## ٩- مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

### ١- سبب ورود الحديث:

هذا الحديث بهذا اللفظ خرَّجه مسلم وحده، وفي رواية له ذكر سبب هذا الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا" فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ...".

### ٢- " فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ":

يدلُّ على كراهة المسائل وذنمها، وأشار صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى أنَّ في الاشتغال بامتنال أمره، واجتناب نهيه شغلاً عن المسائل، فقال: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ".

فالذي يتعيَّن على المسلم الاعتناء به: أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا جَاءَ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَجْتَهِدُ فِي فَهْمِ ذَلِكَ، فَإِنْ

كان من الأمور العلمية اشتغل بالتصديق به، وإن كان من الأمور العملية اجتهد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهى عنه؛ وبذلك يحصل له النجاة في الدنيا والآخرة.

فأما إن كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمورٍ قد تقع، وقد لا تقع، فإن هذا مما يدخل في النهي، ويثبُط عن الجد في متابعة الأمر، وقد سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله. قال: قلت: رأيت إن زحمت، رأيت إن غلبت؟ قال: اجعل رأيت باليمن، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله.

٣- " مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ":

قال بعضهم: هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر؛ لأن النهي لم يُرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة، وقال الحسن: (ما عبَدَ العابدون بشيءٍ أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه).

والظاهر أن اجتناب المحرمات وإن قلت أفضل من الإكثار من نوافل الطاعات فإن ذلك فرض، وهذا نفل، قال ابن عمر: (لرد دانقٍ من حرام أفضل من مئة ألف تنفق في سبيل الله).



## ١٠- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا}، وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ: أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

### ١- " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ ":

الطيب: الطاهر؛ والمعنى: أنه تعالى منزّه عن النقائص والعيوب كلها، كما في قوله: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}، والمراد: المنزهون من أدناس الفواحش.

### ٢- معنى " لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ":

- ١- أنه تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيباً حلالاً.
- ٢- أعظم من ذلك، وهو أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً. ومن أعظم ما يحصل به طيبة الأعمال للمؤمن: طيب مطعمه؛ فبذلك يزكو عمله، فأكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله.

### ٣- آداب الدعاء:

أ- الأسباب التي تقتضي إجابة الدعاء:

١- إطالة السفر، لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

٢- حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث، ففي الحديث: **"رُبَّ أَشْعَثَ، مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ"**.

٣- مدُّ اليدين إلى السماء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه.

٤- الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وغالب أدعية القرآن تُفتتح باسم الربّ.

ب- ما يمنع إجابة الدعاء: التوسّع في الحرام أكلاً وشراباً ولبساً وتغذيةً.

٤- " فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ ":

معناه: كيف يُستجاب له؟ فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد.

وقد يكون ارتكاب المحرمات مانعاً من الإجابة، وكذلك ترك الواجبات، وفعل الطاعات يكون موجباً لاستجابة الدعاء، ولهذا لما توسّل الثلاثة الذين في الغار بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله تعالى ودَعُوا الله بها، أجيبَت دعوتهم.



## ١١- دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

### ١- معنى الحديث:

الوقوف عند الشبهات واتقائها؛ فالحلال المحض لا يَحْصُلُ للمؤمن في قلبه منه رَيْبٌ، وأما المشتبهات فيَحْصُلُ بها القلقُ الموجب للشك، وقال حَسَّانُ بْنُ أَبِي سَنَانَ: (ما شيء أهون من الورع، إذا رابك شيء فدعه)، وقد يُستدلُّ بهذا على أَنَّ الخروج من اختلاف العلماء أَفْضَلُ؛ لأنَّه أبعدُ عن الشبهة، ولكن الصواب أَنَّ هذا ليس على إطلاقه، فإنَّ من مسائل الاختلاف ما ثبتت فيه رخصة، فاتباعها أولى من اجتنابها.

### ٢- ذكر من يصلح معه التدقيق في التوقف عن الشبهات:

يَصْلُحُ لِمَنْ استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع، مثل الإمام أحمد حيث كان لا يستمدُّ من محابر أصحابه، أما مَنْ يَقَعُ فِي انتهاك المحرَّمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورَّعَ عن شيء من دقائق الشُّبْهِ، فَإِنَّهُ يُنْكَرُ عليه ذلك، كما قال ابنُ عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

## ١٢- من حُسن إسلام المرء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

### ١- الحكم على الحديث:

خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ رِوَايَةِ قُرَّةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ، وَحَسَنُهُ النَّوَوِيُّ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ.

وَأَمَّا أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ قَالُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَالْمَحْفُوظُ عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْسَلًا، قَالَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالٍ وَالدَّارِقُطْنِيُّ وَهُوَ الصَّوَابُ.

### ٢- أهمية الحديث ومعناه:

هُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الْأَدَبِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَهُ تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنْ تَتَعَلَّقَ عَنَائِيَّتُهُ بِهِ، وَالْعَنَائِيَّةُ: شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ.

وَأَكْثَرُ مَا يُرَادُ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي: حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ لُغْوِ الْكَلَامِ، وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الْخَيْرَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَتَنَاجَى بِهِ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}.

\*\*\*

## ١٣- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». رواه البخاري ومسلم.

### ١- تخریج الحديث ومعناه:

أخرجه أحمد بلفظ: "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير".

فالمقصود بالحديث: أن من جملة خصال الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه، فإذا زال ذلك عنه، فقد نقص إيمانه بذلك.

### ٢- تحقيق حب الخير لأخيه المؤمن:

يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد والكبر. وفي الحديث: "الكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ"، وبطْر الحق: التكبر عليه، وعدم قبوله إذا خالف هواه، وغمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم، وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص.



### ٣- حكم التحدث بالنعمة:

إن أخبر بها لمصلحة دينية ويرى نفسه مقصراً في الشكر؛  
كان جائزاً، قال ابن مسعود: (ما أعلم أحداً أعلم بكتاب الله  
مني).

ولا يمنع هذا أن يحب للناس أن يشاركوه فيما خصّه الله به، قال  
الشافعي: (وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم ينسب إليّ  
منه شيء).



## ١٤ - لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ». رواه البخاري ومسلم.

### حكم القتل بكلِّ واحدةٍ من هذه الخصال الثلاث:

متفقٌ عليه بين المسلمين.

- ١- زنى الثَّيِّبِ: أجمع المسلمون على أَنَّ حَدَّه الرِّجْمُ حَتَّى يَمُوتَ، وقد رجم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاعِزاً وَالْغَامِدِيَّةَ.
  - ٢- النَّفْسُ بِالنَّفْسِ: إذا قتل نفساً بغير حقِّ عمداء، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بِهَا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى}.
  - ٣- التَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ: وهو من ترك الإسلام، وارتدَّ عنه، وفارق جماعة المسلمين.
- وقد يترك دينه وهو مقررٌّ بالشَّهادتين؛ كما إذا جحد شيئاً من أركان الإسلام، أو سبَّ الله ورسوله.

واستثناه مع من يحلُّ دمه من المسلمين باعتبار ما كان عليه قبل الرَّدَّة وحكم الإسلام لازم له بعدها، ولهذا يُستتاب، ويُطلب منه العود إلى الإسلام، ولو تاب لم يُقتل؛ لأنَّه ليس بتاركٍ لدينه، ولا مفارقٍ للجماعة.

\*\*\*

## ١٥- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكُلْ خَيْرًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». رواه البخاري ومسلم.

### ١- " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ":

يدلُّ على أنَّ هذه الخصال من خصال الإيمان، وهي:

١- تارة تتعلق بحقوق الله، ومن ذلك قول الخير والصمت عن غيره، وفي الحديث: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ".

٢- وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف، وإكرام الجار.

### ٢- "فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ" :

يدلُّ على أنه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمت عنه، بل إما أن يكون خيراً، فيكون مأموراً بقوله، وإما أن يكون غير خير، فيكون مأموراً بالصمت عنه؛ قال الله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.

وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، واختلفوا: هل يكتب كل ما تكلم به، أو لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب؟ وقال بالأول ابن عباس، والظاهر: أن ما ليس بحسنة فهو سيئة، وإن كان لا يُعاقب عليها، ولكن زمانها قد خسره صاحبها، فيحصل له حسرة في القيامة وأسف عليه، وهو نوع عقوبة. وقال عمر: (مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ، كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ، كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ).

وكان السلف يمدحون الصمت عن الشرِّ وعمّا لا يعني؛ لِشِدَّتِهِ على النفس، ولذلك يقع فيه النَّاسُ كثيراً، فكانوا يُعالجون أنفسهم، ويُجاهدونها على السكوت عما لا يعينهم.

### ٣- "فليكرم جاره":

قال تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ} اختلف في الجار ذي القربى والجار الجنب:

١- الجار ذو القربى: الجار الذي له قرابة، والجار الجنب: الأجنبي.

٢- منهم من أدخل المرأة في الجار ذي القربى، ومنهم من أدخلها في الجار الجنب، منهم من أدخل الرفيق في السفر في الجار الجنب.

٣- الجار ذو القربى: الجار المسلم، والجار الجنب: الكافر.

٤- الجار ذو القربى: هو القريب الملاصق، والجار الجنب: البعيد الجوار، وفي البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَأَلِي أَيُّهُمَا أُهْدِي؟ قَالَ: "إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا".

ومن أنواع الإحسان إلى الجار: مواسأته عند حاجته، وفي مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ".

#### ٤- "فَلْيُكْرِمَ ضَيْفَهُ":

والمراد: إحسان ضيافته، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ". قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ".

ففرّق بين الجائزة والضيافة وأكّد الجائزة، وهذا يدلّ على وجوب الضيافة يوماً وليلة، وأمّا اليومان الآخران فهما تمام الضيافة.



## ١٦- لَا تَغْضَبْ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». رواه البخاري.

### ١- معنى الحديث:

أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الغضب وكرر الوصية به؛ فالغضب جماع الشر، التحرز منه جماع الخير.

### ٢- المراد من "لَا تَغْضَبْ":

١- الأمر بالأسباب التي توجب حُسْنَ الخُلُق؛ فهذا يوجب دفع الغضب عند حصول أسبابه.

٢- عدم العمل بمقتضى الغضب، ومجاهدة النفس على ترك تنفيذه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من غضب بتعاطي أسباب تدفع عنه الغضب، وتُسَكِّنُهُ؛ فقال عمن كان غاضباً: "إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ".

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: (وما يُغني عني سعة جوفي إذا لم أُرَدِّ فيه الغضب حتى لا يظهر).

### ٣- تعريف الغضب:

غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه.

والواجب على المؤمن أن يكون غضبه دفعاً للأذى في الدين وانتقاماً ممن عصى الله ورسوله.

وهذه كانت حال النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمة الله لم يقم لغضبه شيء.

ودخل بيت عائشة فرأى سترأ فيه تصاوير، فتلّون وجهه وهتكه، وقال: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ".

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: "أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ".

وهذا عزيز جداً، ألا يقول الإنسان سوى الحق سواء غضب أو رضي، فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول.



## ١٧- إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِیُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِیُرِخَ ذَبِیْحَتَهُ». رواه مُسْلِم.

### ١- وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال:

- ١- في الإتيان بالواجبات: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها.
- ٢- في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها.
- ٣- في الصبر على المقدورات: أن يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تسخط ولا جزع.
- ٤- في معاملة الخلق: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله.
- ٥- في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها، وهذا المذكور في الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال.

### ٢- "إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ":

القتلة والذبحه: أي: أحسنوا هيئة القتل وهيئة الذبح. وحكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة. وقال أحمد: (تقاد إلى الذبح قوداً رفيقاً، وتوارى السكين عنها، ولا تظهر السكين إلا عند الذبح). وفي الحديث: "لَا تَتَّخِذُوا شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً"، والغرض: ما يرمى بالسهم.



## ١٨ - اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

### ١ - معنى التقوى:

أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخَافُهُ وَقَايَةً، تَقِيهِ مِنْهُ، فَتَقْوَى الْعَبْدُ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ رَبِّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَقَايَةً؛ مِنْ فِعْلِ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

وفي قوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}، قال ابن مسعود: (أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ فَلَا يَنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ).

### ٢ - معنى "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ":

فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ وَحَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ.

وقال الشافعي: (أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ ثَلَاثَةٌ: الْجُودُ مِنْ قِلَّةٍ، وَالْوَرَعُ فِي خَلْوَةٍ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ يُرْجَى وَيُخَافُ).

وَمِنْ صَارَ لَهُ هَذَا الْمَقَامُ حَالاً دَائِماً أَوْ غَالِباً، فَهُوَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ.

### ٣- "وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا":

لما كان العبد مأموراً بالتقوى مع أنه لا بُدَّ أن يقع منه أحياناً تفريط؛ أمره أن يفعل ما يمحو به هذه السيئة؛ وهو أن يتبعها بالحسنة، أي يتوب منها أو أعم من التوبة، قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}، وفي الحديث: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ".

### ٤- وصف المتقين في القرآن بمثل ما في الحديث:

قال عز وجل: {أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ}.

فوصف المتقين بالإنفاق، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وهذا هو غاية حسن الخلق الذي وصى به النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أنهم قد يقع منهم أحياناً ذنوب، لكنهم لا يصرُّون عليها، بل يذكرون الله عقيب وقوعها، ويستغفرونه ويتوبون إليه منها، وفي الحديث القدسي: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ" - إلى أن قال في الرابعة- "اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ"؛ يعني: ما دام على هذه الحال كلما أذنَبَ ذنباً استغفر منه.

## ٥- الاختلاف فيما تُكفره الأعمال الصالحة:

- ١- قول الجمهور: لا تُكفر سوى الصغائر، وأما الكبائر، فلا بدّ لها من توبة؛ لأنّ الله أمر بها، وجعل من لم يتب ظالماً، والتوبة فرض، ولو كانت الكبائر تقع مكفرةً بالوضوء والصلاة، لم يُحتجّ إلى التوبة، وهذا باطلٌ بالإجماع. واستدلوا بحديث: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ".
- ٢- وقيل: هذه الأعمال تُكفر الكبائر والصحيح هو القول الأول.

## ٦- الاختلاف في وجوب التوبة من الصغائر:

- ١- يجب التوبة منها؛ لقوله تعالى: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. ٢- لا يجب التوبة منها.
- ٣- يجب أحد الأمرين، إمّا التوبة منها، أو الإتيان ببعض المكفّرات للذنوب من الحسنات.

## ٧- "وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ":

هذا من خصال التقوى وأفرده بالذكر: للحاجة إلى بيانه، فإنّ الكثير يظنّ أنّ التقوى هي القيام بحقّ الله فقط، فنصّ على الأمر بإحسان العشرة للناس. والجمع بين القيام بحقوق الله وعباده عزيزٌ جداً لا يقوى عليه إلاّ الكَمَلُ مِنَ الأنبياء والصديقين. وخرّج أحمد حديث: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا".

\*\*\*

## ١٩- يا غلامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وفي رواية غير الترمذي: «أحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة، واعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أنّ النصرَ مع الصّبر، وأنّ الفرجَ مع الكرب، وأنّ مع العسرَ يسراً».

### ١- أهمية الحديث:

يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أمور الدين. وقال بعضهم: (تدبرْتُ هذا الحديث، فأدهشني وكِدْتُ أطيّشُ، فوا أسفى من الجهل بهذا الحديث، وقِلّة التفهم لمعناه).

### ٢- معنى "أحفظ الله":

أحفظ حدوده وأوامره ونواهيه، بالوقوف عند أوامره بالامتنال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوز ما أمر به إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك كان حافظاً لحدود الله.

### ٣- أنواع حفظ الله لعبده:

١ - حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده، قال الله عز وجل: **{لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}**؛ قال ابن عباس: (هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلُّوا عنه).

وقد يحفظ الله العبدَ بصلاحه بعد موته في ذريته قال تعالى: **{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}** : فحفظا بصلاح أبيهما.

وعكسُ هذا فمن ضيع الله؛ ضيَّعه الله، فضاغ بين خلقه حتى يدخلَ عليه الضررُ ممن كان يرجو نفعه، قال بعض السلف: (إني لأعصي الله، فأعرفُ ذلك في خلقٍ خادمي ودابَّتي).

٢ - حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه: وهو أشرف النوعين، فيحفظه في حياته من الشبهات والشهوات، ويحفظ عليه دينه؛ فيتوقَّاه على الإيمان، قال تعالى: **{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}**.

### ٤- معنى "احفظ الله تجده تجاهك":

مَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ؛ وجد الله معه في كُلِّ أحواله حيث توجهَ يحُوطُهُ ويحفظه ويوفِّقه ف **{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}**، وهذه المعيةُ الخاصةُ هي المذكورةُ في قوله تعالى لموسى وهارون: **{لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}**.

بخلاف المعية العامة في قوله تعالى: **{وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}**، فهذه معية علم ومراقبة.

## ٥- أنواع معرفة العبد لربه ومعرفة الله لعبده:

### معرفة العبد لربه:

١- المعرفة العامة: وهي معرفة الإقرار به والإيمان، وهذه عامة للمؤمنين.

٢- معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والطمأنينة بذكره، قال بعضهم: (مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى).

### معرفة الله لعبده:

١- معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده، وإطلاعه عليهم.

٢- معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده، وإجابة دعائه.

ومن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه؛ عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته.

٦- "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ":

هذا مُنْتَرَعٌ من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

فسؤال الله هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة.

٧- "رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ":

وفي رواية: "جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ". وهو كناية عن تقدّم كتابة المقادير كلّها، فإنّ الكتاب إذا فُرِغَ من كتابته، فقد رُفِعَتِ

عنه الأقلام وجفت، وجفت الصّحيفة التي كتب فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها.

## ٨- درجات الصبر على المصائب:

١- أن يرضى بذلك، وهذه درجة عالية رفيعة جداً، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ}.

قال علقمة: (هي المصيبة تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضى).

٢- أن يصبر على البلاء، وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن.

قال الحسن: (الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن).

والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر: كف النفس وحبسها عن التسخط، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع.

والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم.

## ٩- من لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر:

١- أن الكرب إذا اشتدَّ وعظم؛ حصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلب بها

الحوائج، فإنَّ الله يكفي من توكلَّ عليه، كما قال تعالى: {وَمَنْ  
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

٢- أنَّ المؤمن إذا استبطأ الفرَج؛ يرجع إلى نفسه باللائمة،  
وهذا اللومُ يُوجبُ انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنَّه أهلٌ لما  
نزل به من البلاء، وأنَّه ليس بأهلٍ لإجابة الدعاء، فلذلك تُسرِّعُ  
إليه حينئذٍ إجابةُ الدعاء، فإنَّه تعالى عندَ المنكسرةِ قلوبهم من  
أجله.





## ٢٠- إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

### ١- "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى":

يشيرُ إلى أنَّ هذا ماثورٌ عن الأنبياء المتقدمين، وأنَّ الناس توارثوه عنهم قرناً بعد قرنٍ، حتى وصل إلى هذه الأمة.

### ٢- معنى "إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ":

١- معناه الذم وليس الأمر، وأهل هذه المقالة لهم طريقان:

أحدهما: أَنَّهُ أَمْرٌ بِمَعْنَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ، وَالْمَعْنَى: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَيَاءٌ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِيكَ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

ثانيهما: أَنَّهُ أَمْرٌ بِمَعْنَى الْخَبَرِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَحْيَ، صَنَعَ مَا شَاءَ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ، انْهَمَكَ فِي كُلِّ فَحْشَاءٍ.

٢- أَنَّهُ أَمْرٌ بِفِعْلٍ مَا يَشَاءُ عَلَى ظَاهِرِ لَفْظِهِ، وَالْمَعْنَى: إِذَا كَانَ الَّذِي تَرِيدُ فَعْلَهُ مِمَّا لَا يُسْتَحْيَى مِنْ فَعْلِهِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.

### ٣- أنواع الحياء:

١- ما كان خُلُقاً غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يَمْنَحُها الله العبد.

٢- ما كان مكتسباً من معرفة الله، واطلاعه على عبادته، فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان. فإذا سُلِبَ العبدُ الحياءُ المكتسب والغريزي؛ لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح، فصار كأنه لا إيمان له.



## ٢١ - آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ». رواه مُسْلِم.

### ١ - "آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ":

المعنى ظاهر؛ لأن الإيمان يدخل فيه الأعمال الصالحة عند السلف ومن تابعهم من أهل الحديث.

وفي رواية: "قل: ربي الله، ثُمَّ اسْتَقِمَّ" وهذا منتزع من قوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}.

وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله، فإنَّ الإله هو الذي يُطَاعُ، فلا يُعصى خشيةً ومحبةً، والمعاصي كلها قاذحة في هذا التوحيد؛ لأنها إجابة لداعي الهوى وهو الشيطان، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}، فهذا يُنافي الاستقامة على التوحيد.

### ٢ - معنى الاستقامة:

سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنية ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها وترك المنهيات كلها، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها.



## ٢٢ - أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَخْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ومعنى حرمت الحرام: أي اجتنبته. ومعنى أخللت الحلال: أي فعلته معتقداً حله.

### ١ - معنى "أَخْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ":

١ - تحليل الحلال باعتقاد حله، وتحريم الحرام باعتقاد حرمة مع اجتنابه.

٢ - تحليل الحلال إتيانه، ويكون الحلال عبارة عما ليس بحرام، ويكون المعنى: أنه يفعل ما ليس بمحرّم عليه، ولا يتعدّى ما أبيض له إلى غيره، ويجتنب المحرّمات.

### ٢ - الذي يدل عليه الحديث:

أَنَّ مَنْ قَامَ بِالْوَاجِبَاتِ، وَانْتَهَى عَنِ الْمَحْرَمَاتِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ. وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: "تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ". قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

الله عليه وسلم: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا".

ومراد الأعرابي أنه لا يزيد على الواجب من الصلاة والزكاة والصوم، ليس أنه لا يعمل بشيء من شرائع الإسلام وواجباته غير ذلك، وهذا الحديث لم يذكر فيه اجتناب المحرمات؛ لأن السائل إنما سأل عن الأعمال التي يدخل بها عاملها الجنة.

### ٣- الاختلاف في معنى الأحاديث التي جاءت في ترتيب دخول الجنة على مجرد التوحيد:

١- إن كلمة التوحيد سبب مقتضى لدخول الجنة وللنجاة مِنَ النَّارِ، لكن له شروطٌ وهي الإتيان بالفرائض، وموانعٌ وهي إتيان الكبائر.

٢- كان هذا قبل الفرائض والحدود، وقال الثوري: (نسختها الفرائض والحدود).

٣- هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق وإخلاص، يمنع الإصرار معها على معصية.

فتبين بهذا معنى حديث: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ".

وأن من دخل النار من أهل هذه الكلمة، فَلَقَلَّةٌ صدقه في قولها، فمن صدق في قولها؛ لم تبق له بقية من آثار نفسه وهواه.



## ٢٣- الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ،  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ  
مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ،  
وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو،  
فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

### ١- "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ":

قيل الطهور هو ترك الذنوب، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ  
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}.

والصحيح أن المراد بالطهور: التَّطَهَّرَ بالماء من الأحداث، ولذا  
بدأ مسلم في تخريجه في أبواب الوضوء.

ومعنى كون الطهور بالماء شَطْرَ الْإِيمَانِ: أن كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَهُ  
نوعان: فأحدهما نصف له، وسواء كان عدد النوعين على  
السواء، أو أحدهما أزيد من الآخر، ففي مسلم عن أبي هريرة:  
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه قال:  
"قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ".

فقراءة الفاتحة مقسومة للعبادة والمسألة، فالعبادة حقُّ الربِّ  
والمسألة حقُّ العبد، وليس المرادُ قسمة كلماتها على السواء.

## ٢- المقارنة بين الحمد والتسبيح:

الحمد أفضل من التسبيح وفي الحديث: "التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ تَمْلُؤُهُ"، فالحمد فيه إثباتُ المحامد كُلِّها لله، ومنها إثباتُ صفاتِ الكمال والجلال كُلِّها، والتسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والإثباتُ أكملُ من السلب، ولهذا يجيء التسبيح مقروناً بما يدلُّ على إثبات الكمال، مثل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

## ٣- "وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ":

هذه الأنواع الثلاثة من الأعمال أنوار كُلِّها:

١- الصَّلَاةُ: نورٌ مطلق للمؤمنين في قلوبهم وبصائرهم.

٢- الصدقة: برهان، وهو الشعاعُ الذي يلي وجهَ الشمس، فالصدقة برهان على صحة الإيمان؛ لأن النفوس تحب المال، فإذا سمحت بإخراجه لله تعالى دلَّ ذلك على صحَّة إيمانها به.

٣- الصبرُ: ضياء، وهو النُّورُ الذي يحصلُ فيه نوعُ حرارةٍ وإحراقٍ، فالصبر ضياء لأنه شاق على النفوس، يحتاجُ إلى مجاهدة النفس، فالصَّبْرُ لغة: الحبسُ، والصبرُ على الطاعات وعن المحرَّماتِ أفضلُ من الصَّبْرِ على المصائب.

٤- "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا":

فكلّ إنسان ساعٍ إما في طاعة الله، فيبيع نفسه لله، ويعتقها من عذابه، وإما في معصية الله، فيبيع نفسه بالهوان، ويستحق غضب الله وعقابه، وقال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

قال الحسن: (المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله عز وجل).





## ٢٤ - يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

### ١ - أهمية الحديث:

قال أحمد: (هو أشرف حديث لأهل الشام).

٢- "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا":

أي: أنه منع نفسه من الظلم لعباده، وهو مما يدلُّ على أنَّ الله قادرٌ على الظلم، ولكنه لا يفعله فضلاً منه وجوداً.

والظلم نوعان: ١- ظلم النفس: وأعظمه الشرك، ثم المعاصي.

٢- ظلم العبد لغيره، وهو المذكور في هذا الحديث.

وفي الحديث: "الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

٣- "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ...":

فجميع الخلق مُفْتَقِرُونَ إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، ولا يملكون لأنفسهم من ذلك شيئاً، قال تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}.

وفيه دليلٌ على أنَّ الله يحبُّ أن يسأله العبادُ جميعَ مصالح دينهم ودنياهم، كما يسألونه الهداية والمغفرة؛ فكلَّ ما يحتاج العبد إليه إذا سأله من الله فقد أظهر افتقاره إليه، وهذا يحبه الله.

وكان بعض السلف يستحي من الله أن يسأله شيئاً من مصالح الدنيا، والافتداء بالسُّنة أولى.

٤- "كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ":

ظنَّ بعضهم أنه معارض للحديث القدسي: "وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ".

وليس كذلك؛ فالإنسان يولد مفطوراً على قبول الحق، فإن هداه الله سبب له من يعلمه الهدى، فصار مهتدياً بالفعل بعد أن كان مهتدياً بالقوة، وإن خذله؛ قيض له من يعلمه ما يغير فطرته كما في حديث: **"كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"**.

وأما سؤال المؤمن من الله الهداية، فإن الهداية نوعان:

١- هداية مجملّة: وهي الهداية للإسلام وهي حاصلة للمؤمن.

٢- هداية مفصلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانتة على فعل ذلك، وهذا دائماً ما يحتاج إليه المؤمن ولذا يقول في كُلِّ ركعة { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** }.

٥- **"فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ"**:

الاستغفار: هو طلبُ المغفرة، والعبدُ أحوجُ شيءٍ إليه؛ لأنّه يخطئ بالليل والنهار، وفي الحديث: **"وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً"**.

٦- **"يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي..."**:

يعني: أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعاً ولا ضرراً، فإن الله تعالى غنيٌ حميدٌ، لا حاجة له بطاعات العباد، ولا يتضرر بمعاصيهم، قال الله تعالى: { **وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً** }، فهو تعالى يُحبُّ من عباده أن يعرفوه ويحبُّوه ويخافوه، ويُحبُّ أن يعلموا أنّه لا يغفر الذنوب غيره،

قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ}.

٧- "لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ...":

المراد: ذكر كمال قدرته سبحانه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ، وفي الحديث: "يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءٌ، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ" وفيه: "أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ".

وفي ذلك حثٌّ للخلق على سؤاله وإنزالِ حوائجهم به.

٨- "إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ":

تحقيق لأن ما عنده لا ينقص البتة، كما قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} فَإِنَّ الْبَحْرَ إِذَا غُمِسَ فِيهِ إِبْرَةٌ، ثُمَّ أُخْرِجَتْ، لَمْ يَنْقُصْ مِنَ الْبَحْرِ بِذَلِكَ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الْبَحْرَ لَا يَزَالُ تَمُدُّهُ مِيَاهُ الدُّنْيَا، فَكِلَاهُمَا أَخَذَ مِنْهُ، لَمْ يَنْقُصْهُ شَيْءٌ.

وسبب أن ما عند الله لا ينقص بالعطاء مذكور في رواية الترمذي: "ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌّ وَاجِدٌ مَا جِدُّ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلَامٌ وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ".

٩- " فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا  
يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ":

إشارة إلى أن الخير كله من الله فضل منه على عبده، والشر  
كله من عند ابن آدم من اتّباع هوى نفسه، كما قال تعالى: {مَا  
أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}.

فإن الله سبحانه إذا أراد هداية عبد وفقه لطاعته، وإذا أراد خذلان  
عبد؛ وكله إلى نفسه، فأغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله  
{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}.

وقال تعالى عن أهل الجنة: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا  
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}.



## ٢٥- ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ. فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَالِلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

### ١- الذي يدل عليه الحديث:

شِدَّةُ حِرْصِ الصَّاحِبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَحُزْنِهِمْ عَلَى مَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمْ فَعَلُهُ مِنَ الْخَيْرِ.

### ٢- أنواع الصدقة بغير المال:

١- مَا فِيهِ تَعْدِيَةٌ إِلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، فَيَكُونُ صَدَقَةً عَلَيْهِمْ، وَرَبَّمَا كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِالْمَالِ، وَهَذَا كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ.

٢- مَا نَفَعُهُ قَاصِرٌ عَلَى فَاعِلِهِ، كَأَنْوَاعِ الذِّكْرِ، وَقَدْ تَكَاثَرَتْ النُّصُوصُ بِتَفْضِيلِ الذِّكْرِ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْمَالِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ.

ولم يذكر الصَّلَاة والصَّيَام أَنَّهُ صَدَقَةٌ؛ لَأَنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ جَوَاباً  
لِسُؤَالِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا يُقَاوِمُ تَطَوُّعَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَمْوَالِهِمْ،  
وَأَمَّا الْفَرَائِضُ، فَقَدْ كَانُوا كُلُّهُمْ مُشْتَرِكِينَ فِيهَا.



## ٢٦- كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». رواه البخاري ومسلم.

### ١- "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ":

أي: على كُلِّ عظم من عظام ابن آدم صدقة.

فتركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نِعَمِ الله على عبده، فيحتاج كُلُّ عظم منها إلى صدقة، ليكونَ ذلك شكراً لهذه النعمة.

### ٢- درجات الشُّكر:

١- الشكر الواجب: وهو أن يأتي بالواجبات، ويجتنب المحارم، فهذا لا بدَّ منه، ويكفي في شكر هذه النعم.

٢- الشكر المستحب: وهو أن يعمل العبدُ بنوافل الطاعات، وهذه درجة السابقين المقربين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتَّى تتفطر قدماه ويقول: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا".



### ٣- من أنواع الصدقة القاصرة على نفس العامل بها:

١- أنواع الذكر من التسبيح، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك تلاوة القرآن.

٢- محاسبة النفس على ما سلف من أعمالها، والندم والتوبة.

٣- البكاء من خشية الله تعالى، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وقيل: إنَّ هذا التفكر أفضل من نوافل الأعمال البدنية.



## ٢٧- البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ

عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ». حديث حسن، رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل، والدرامي بإسناد حسن.

### ١- اختلاف تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للبر في الحديثين:

لأنَّ البرَّ يُطْلَقُ باعتبارين:

١- باعتبار معاملة الخلق والإحسان إليهم، وفي صحيح البخاري وجامع الترمذي (كتاب البر والصلة).

وقال ابن عمر: (البرُّ شيءٌ هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ).

٢- أن يُراد به فعلُ جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، كقوله تعالى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ}.

وقد يكون جوابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حديث النَّوَاسِ شاملاً لهذه الخصال كلها؛ لأنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ قد يُراد به التخلُّقُ

بأخلاق الشريعة، والتأدّب بآداب الله التي أدّب بها عباده في كتابه.

## ٢- مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه:

١- أعلاها: أن يكون مما يستكره الناس على فاعله وغير فاعله.

٢- أن يكون مُستكرراً عند فاعله دون غيره، بشرط: أن يكون فاعله ممّن شرح صدره بالإيمان، وكان المفتي يُفتي له بمجرد ظن، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حكّ في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون.

فإن كان مع المفتي دليل؛ فالواجب على المستفتي الرجوع إليه، وإن لم ينشرح له صدره، وهذا كالرخص الشرعية، مثل الفطر في السفر والمرض، ونحو ذلك ممّا لا ينشرح به صدور كثير من الجهّال، فهذا لا عبرة به.



## ٢٨ - أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَُا مَوْعِظَةُ مُودَعٍ، فَأَوْصِنَا قَالَ: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مِنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

### ١ - الحكم على الحديث:

قال أبو نعيم: (هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين).

### ٢ - "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً":

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يعظ أصحابه ولكنه كان لا يُديم وعظهم، قال ابن مسعود قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا.

والبلاغة في الموعظة مستحسنة؛ وهي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها. وكان صلى الله عليه وسلم يقصر خطبتها، ويبلغ ويوجز.

### ٣- "وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ":

هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ}، وقال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ}.

### ٤- "كَأَنَّهُا مَوْعِظَةٌ مَوْدِّعٌ":

يدلُّ على أنه كان صلى الله عليه وسلم قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودِّع، فإنَّ المودِّع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل.

ولربما كان قد وقع منه صلى الله عليه وسلم تعريض في تلك الخطبة بالتوديع، كما عرَّض بذلك في خطبته في حجة الوداع.

### ٥- وصية النبي صلى الله عليه وسلم:

أوصاهم بالتقوى التي تضمن سعادة الآخرة لمن تمسك بها، وأوصاهم بالسمع والطاعة لولاة الأمور، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم.

### ٦- "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ":

السُّنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الرَّاشِدُونَ مِنَ الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنة الكاملة، وكثير من العلماء المتأخرين يخصُّ

اسم السُّنة بما يتعلق بالاعتقادات؛ لأنها أصلُ الدِّين، والمخالفُ فيها على خطرٍ عظيم.

والخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، وإنما وُصفوا بالراشدين؛ لأنَّهم عرفوا الحقَّ وقضوا به.

## ٧- "عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ":

كناية عن شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بها، والنَّوَاجِذِ: الأضراس.

## ٨- "وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ":

والمراد بالبدعة: ما أُحْدِثَ ممَّا لا أصلَ له في الشريعة يدلُّ عليه، فأما ما كان له أصلٌ مِنَ الشَّرْعِ يدلُّ عليه، فليس ببدعةٍ شرعاً، وإن كان بدعةً لغَةً.

وما وقع في كلام السَّلَفِ مِنْ استحسان بعض البدع؛ فإنَّما ذلك في البدع اللُّغوية، لا الشرعية، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا جَمَعَ النَّاسَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَ وَرَأَاهُمْ يَصَلُّونَ كَذَلِكَ فَقَالَ: نَعَمْتُ الْبَدْعَةُ هَذِهِ.

ومراده أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَلَكِنْ لَهُ أَصُولٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ يُرْجَعُ إِلَيْهَا، فَمِنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا قَدْ أُمِنَ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



## ٢٩ - أَخْبَرَنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} حَتَّى بَلَغَ: {يَعْمَلُونَ}، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنَتِهِمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

### ١ - "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟"

لَمَّا رَتَّبَ دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ، دَلَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ.

## ٢- "الصَّوْمُ جُنَّةٌ":

الجُنَّة: هي ما يستجنُّ بها العبد، كالمجنِّ الذي يقيه عند القتال من الضَّرب، فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي ثم يكون له في الآخرة جُنَّةٌ من النار، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

## ٣- "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ":

١- رأس الأمر: الإسلام، والأمر: الدين؛ وقد جاء تفسيره في الرواية الأخرى بالشهادتين، فمن لم يقرَّ بهما ظاهراً وباطناً، فليس من الإسلام في شيء.

٢- قِوَامُ الدِّينِ: وهو الصلاة يقومُ بها الدِّين كما يقومُ الفسطاطُ على عموده.

٣- ذِرْوَةُ سَنَامِهِ وهو أعلى ما فيه وأرفعُه: هو الجهاد، وهذا يدلُّ على أنه أفضلُ الأعمال بعدَ الفرائض.

## ٤- "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟":

يدلُّ على أنَّ كَفَّ اللسان وضبطه هو أصلُ الخير كُلِّهِ، وأنَّ من ملك لسانه، فقد ملك أمره، والمرادُ بحصائد الألسنة: جزاءُ الكلام المحرَّم وعقوباته؛ فإنَّ الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسَّيِّئات، ثم يحصدُ يومَ القيامة ما زرع.

\*\*\*



### ٣٠- إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ.

#### ١- معنى الحديث:

هو أصلٌ كبيرٌ من أصولِ الدِّينِ، فمن عملٍ بهذا الحديث، فقد حاز الثَّوابَ، وأَمِنَ العقابَ؛ لأنَّ من أدَّى الفرائضَ، واجتنبَ المحارمَ، ووقفَ عندَ الحدودِ، وتركَ البحثَ عمَّا غابَ عنه، فقد أوفى حقوقَ الدِّينِ؛ لأنَّ الشرائعَ لا تخرجُ عن هذه الأنواع:

- ١- الفرائض: هو فرضه الله على عباده وألزمهم القيام به.
- ٢- المحارم: هي التي حماها الله، ومنع من قربانها وارتكابها.
- ٣- حدودُ الله التي نهى عن اعتدائها: المرادُ بها جملة ما أذنَ في فعله، واعتداؤها: هو تجاوزُ ذلك إلى ارتكاب ما نهى عنه.
- ٤- المسكوتُ عنه: هو ما لم يُذكرْ حكمه بتحليلٍ، ولا إيجابٍ، ولا تحريمٍ، فيكون مغفواً عنه، لا حرجَ على فاعله.

## ٢- "فلا تَبَحْثُوا عَنْهَا":

ومما يدخل في النَّهي عن البحث عنه: أمورُ الغيبِ الخبريّةِ التي أمر بالإيمان بها، فالبحث عن كيفية ذلك قد يوجبُ الحيرة والشكَّ، والتكذيب، وفي مسلم عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ".



## ٣١- ازهد في الدنيا يحبك الله

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ: «ازهد في الدنيا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وازهد فيما في أيدي الناس يُحِبَّكَ النَّاسُ». حديثٌ حسنٌ رواه ابنُ ماجه وغيره بأسانيدٍ حسنةٍ.

### ١- "ازهد في الدنيا":

كثُر في القرآن الإشارة إلى مدحه، وإلى ذم الرغبة في الدنيا، قال تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}. وفي الحديث: "وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ".

### ٢- معنى الزهد في الدنيا:

معنى الزهد في الشيء: الإعراض عنه لاستقلاله، واحتقاره.

وُفُسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء:

١- أن يكونَ بما في يد الله أوثقَ منه بما في يد نفسه، وهذا ينشأ من صحّة اليقين وقوّته والثقة بالله في أموره كلها، وترك التعلّق بالمخلوقين، ومن كان كذلك، كان زاهداً في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا.

٢- إذا أُصيبَ بمصيبةٍ في دُنياه كان أَرغبَ في ثواب ذلك ممّا ذهبَ منه مِنَ الدُّنيا أن يبقى له، وهذا أيضاً ينشأ من كمال

اليقين، قال علي رضي الله عنه: (من زهد في الدنيا، هانت عليه المصيبات).

٣- أن يستوي عنده حامده وذامه في الحق، فيسقط من قلبه منزلة المخلوقين، ويمتلاً من محبة الحق، وما فيه رضا مولاه.

### ٣- "يُحِبُّكَ اللهُ":

يدلُّ على أن الله يحبُّ الزاهدين في الدنيا، وقد ذمَّ الله تعالى من يحبُّ الدنيا ويؤثرها على الآخرة، كما قال: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ}.

وقال عون بن عبد الله: (الدنيا والآخرة في القلب ككفتي الميزان بقدر ما ترجح إحداهما تخف الأخرى).

والذمَّ الوارد في الكتاب والسنة للدنيا راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأنَّ غالبها واقع على غير الوجه الذي تُحمد عاقبته، بل على ما تضرُّ عاقبته، كما قال عز وجل: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}.

والزُّهد في الدنيا شعارُ أنبياء الله وأوليائه وأحبَّائه.

### ٤- "وازهذ فيما في أيدي الناس يُحِبُّكَ النَّاسُ":

وقال الحسن: (لا تزال كريماً على الناس، ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك، استخفُّوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك).

وقد تكاثرت الأحاديثُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمر  
بالاستعفاف عن مسألة الناس، فمن سأل النَّاسَ ما بأيديهم،  
كرهوه وأبغضوه؛ لأنَّ المال محبوبٌ لهم.

وأما من زهد فيما في أيدي الناس فإنَّهم يحبُّونه ويُكرمونه  
لذلك.

وما أحسن قول بعض السَّلف في وصف الدُّنيا وأهلها:  
وما هي إِلَّا جِيفَةٌ مستحيلةٌ ... عليها كلابٌ همَّهنَّ اجتذابُها  
فإنَّ تجتَبِها كنتَ سلماً لأهلها ... وإنَّ تجتذبها نازعتك كلابُها



## ٣٢- لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ**». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَالدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطِإِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يَقْوَى بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

### ١- تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ:

أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ، وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: (هَذَا الْحَدِيثُ أَسْنَدُهُ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ وَجْهِهِ، وَمَجْمُوعُهَا يَقْوَى الْحَدِيثُ وَيُحْسِنُهُ، وَقَدْ تَقَبَّلَهُ جَمَاهِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَاحْتَجُّوا بِهِ).  
[وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ].

### ٢- "لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ":

المشهورُ أَنَّ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ فَرْقًا:

- ١- الضَّرَرُ: أَنْ يُدْخَلَ عَلَى غَيْرِهِ ضَرَرًا بِمَا يَنْتَفِعُ هُوَ بِهِ، وَالضَّرَارُ: أَنْ يُدْخَلَ عَلَى غَيْرِهِ ضَرَرًا بِمَا لَا مَنَفْعَةَ لَهُ بِهِ، كَمَنْ مَنَعَ مَا لَا يَضُرُّهُ وَيَتَضَرَّرُ بِهِ الْمَمْنُوعُ.
- ٢- الضَّرَرُ: أَنْ يَضُرَّ بِمَنْ لَا يَضُرُّهُ، وَالضَّرَارُ: أَنْ يَضُرَّ بِمَنْ قَدْ أَضُرَّ بِهِ عَلَى وَجْهِ غَيْرِ جَائِزٍ.

فأما إدخال الضرر على أحدٍ بحق، إمّا لكونه تعدّى حدودَ الله، أو ظلمَ غيره، فهذا غير مرادٍ قطعاً، وإنما المراد: إلحاق الضررِ بغيرِ حقٍّ.

### ٣- الذي يدخل في عموم «لا ضرر»:

أنَّ الله لم يكلف عباده فعلَ ما يضرُّهم البتّة، فإنَّ ما يأمرهم به هو عينُ صلاح دينهم ودنياهم، وما نهاهم عنه هو عينُ فساد دينهم ودنياهم، لكنّه لم يأمر عباده بشيءٍ هو ضارٌّ لهم في أبدانهم أيضاً، ولهذا أسقط الطّهارة بالماء عن المريض، وأسقط الصيام عن المريض والمسافر.

وفي الصحيحين عن أنس: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ فَقَالَ: "مَا بَالُ هَذَا؟" قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ". وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ.



### ٣٣- لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رِجَالُ أَمْوَالِ قَوْمٍ وَدِمَائِهِمْ وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِيِ وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ». حديثٌ حسنٌ رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين.

#### ١- تخریج الحديث:

استدلَّ به أحمد، وهذا يدلُّ على أنَّ اللفظ صحيحٌ محتجٌّ به. وأصله في الصحيحين بلفظ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعِيِ عَلَيْهِ".

قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن البيِّنَةَ على المدعي يعني: يستحقُّ بها ما ادَّعى، لأنها واجبةٌ عليه، واليمين على المدعي عليه، أي: يبرأ بها، لأنها واجبةٌ عليه.

#### ٢- "الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِيِ وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ":

أريد به إذا ادَّعى على رجلٍ ما يدَّعيه لنفسه، وينكر أنه لمن ادَّعاه عليه، فأما من ادَّعى ما ليس له مدَّعٍ لنفسه، فيُكتفى من البيِّنَةِ هنا بما لا يُكتفى بها في الدَّعوى على المدَّعي لنفسه المنكر.

ويشهد لذلك: أن اللَّقْطَةَ إذا جاء من وصفها، فإنَّها تُدْفَعُ إليه بغير بيِّنَةٍ بالاتفاق، والغنيمة إذا جاء من يدَّعي منها شيئاً، وأنَّه استولى عليه الكفار، وأقام على ذلك ما يُبين أنَّه له اكتفى به.



## ٣٤- مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». رواه مُسْلِمٌ

### ١- روايات الحديث:

روي معناه من وجوه أخر، ففي مسلم عن ابن مسعود، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ".

### ٢- الذي تدلّ عليه الأحاديث:

على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأنَّ إنكاره بالقلب لا بد منه، وإلا دلّ ذلك على ذهاب الإيمان من قلبه. قال ابن مسعود: (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر). وأما الإنكار باللسان واليد، فإنَّما يجب بحسب الطاقة. ومن شهد الخطيئة فكرها بقلبه، كان كمن لم يشهدا إذا عجز عن إنكارها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدا

وقدر على إنكارها ولم ينكرها؛ فالرضا بالخطايا من أقبح المحرمات.

### ٣- الذي يدل عليه "وذلك أضعف الإيمان":

١- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان.

٢- من قدر على خصلة من خصال الإيمان وفعلها، كان أفضل ممن تركها عجزاً عنها، لقوله صلى الله عليه وسلم في حق النساء: "أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ، فَذَلِكَ نُقْصَانُ دِينِهَا".

فمع أنها ممنوعة من الصلاة حينئذ؛ جعل ذلك نقصاً في دينها.

### ٤- الذي يدل عليه "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا":

أنَّ الإنكارَ متعلِّقٌ بالرؤية، فلو كان مستوراً فلم يره، ولكن علم به، فقال أحمد: (لا يعرضُ له، ولا يفتش على ما استراب به).

وأما تسوُّر الجدران على من علم اجتماعهم على منكر، فقد أنكره الأئمة وهو داخل في التجسس المنهي عنه.

وقال القاضي أبو يعلى: (إن كان في المنكر انتهاكٌ حرمة يفوت استدراكها كالزنى والقتل، جاز التجسس، وإن كان دون ذلك في الرتبة، لم يجز التجسس عليه).

## ٥- الذي يحمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- رجاءُ ثواب الله.

٢- خوفُ العقابِ في تركه.

٣- الغضبُ لله على انتهاك محارمه.

٤- النصيحةُ للمؤمنين، والرَّحمةُ لهم.

٥- إجلالُ الله وإعظامه ومحَبَّته.

ويتعين الرفقُ في الإنكار، وقال أحمد: (يأمر بالرفقِ والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب، فيكون يريدُ ينتصرُ لنفسه).



## ٣٥- لا تَحَاسَدُوا وَلَا تَتَّاجَشُوا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَتَّاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا»، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - «بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». رواه مسلم.

### ١- "لا تَحَاسَدُوا":

يعني: لا يحسدُ بعضُكم بعضاً.

والحسدُ مركوزٌ في طباع البشر، وهو أنَّ الإنسان يكرهُ أن يفوقه أحدٌ من جنسه في شيءٍ من الفضائل.

ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام:

١- من يسعى في زوالِ نعمة المحسودِ بالبغي عليه بالقول والفعل، وهذا هو الحسدُ المذمومُ المنهيُّ عنه.

٢- إذا حسدَ غيره، لم يعمل بمقتضى حسده، ولم يبيع على المحسود بقولٍ ولا فعلٍ، وهذا على نوعين:

أحدهما: أن لا يمكنه إزالة الحسدِ من نفسه، فيكون مغلوباً على ذلك، فلا يَأْتُمُّ به.

**والثاني:** من يُحدِّثُ نفسَه بذلك اختياراً، ويُعيدَه في نفسِه متمنياً زوالِ نعمة أخيه، فهذا شبيهٌ بالعزم المصمَّم على المعصية، وفي العقاب على ذلك اختلافٌ بين العلماء، لكن هذا يبعدُ أن يَسْلَمَ من البغي على المحسود، ولو بالقول، فيأثم بذلك.

٣- إذا حسد لم يتمنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنَّى أن يكون مثله.

فإن كانت الفضائل دنيويَّةً، فلا خيرَ في ذلك، وإن كانت فضائل دينيَّةً، فهو حسن، كما في الحديث: **"لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ"**.

وهذا هو الغبطة، وسماه حسداً من باب الاستعارة.

٤- إذا وجدَ من نفسه الحسدَ سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود، حتى يحبَّ أن يكون أخوه المسلمُ خيراً منه وأفضلَ، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمنُ الكاملُ الذي يُحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه.

## ٢- **"وَلَا تَنَاجَشُوا":**

فسره كثيرٌ من العلماء بالنَّجَشِ في البيع، وهو: أن يزيدَ في السلعة من لا يريدُ شراءها، إمَّا لنفع البائع بزيادة الثمن له، أو بإضرار المشتري بتكثير الثمن عليه.

ويحتمل أن يُفسَّرَ التَّنَاجَشُ بما هو أعمُّ من ذلك، فإنَّ أصل النَّجَشِ في اللغة: إثارة الشيءِ بالمكرِ والحيلةِ والمخادعةِ.

فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا تَتَّخِذُوا، وَلَا يُعَامِلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَكْرِ وَالْاِحْتِيَالِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمَعَامَلَاتِ بِالْغَشِّ وَنَحْوِهِ.

### ٣- "وَلَا تَبَاغَضُوا":

نَهَى الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّبَاغُضِ بَيْنَهُمْ فِي غَيْرِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْبُغْضُ فِي اللَّهِ، فَهُوَ مَنْ أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ، وَلَيْسَ دَاخِلًا فِي النَّهْيِ.

وَلَمَّا كَثَرَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ، كَثُرَ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَبَاغُضُهُمْ وَتَلَاغُتُهُمْ، وَكُلُّ مَنْهُمْ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُبْغِضُ لِلَّهِ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَحَرَّزَ فِي هَذَا غَايَةَ التَّحَرُّزِ، وَمَا أَشْكَلَ مِنْهُ، فَلَا يُدْخِلُ نَفْسَهُ فِيهِ خَشْيَةً أَنْ يَقَعَ فِي الْبُغْضِ الْمُحَرَّمِ.

### ٤- "وَلَا تَدَابَرُوا":

التَّدَابُرُ: الْمَصَارِمَةُ وَالْهَجْرَانُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ".

وَهَذَا فِي التَّقَاطُعِ لِلْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَأَمَّا لِأَجْلِ الدِّينِ، فَتَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى الثَّلَاثِ، لِحَدِيثِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا.

### ٥- مَعْنَى الْبَيْعِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ:

أَنْ يَكُونَ قَدْ بَاعَ مِنْهُ شَيْئًا، فَيَبْذُلُ لِلْمُشْتَرِي سَلْعَتَهُ لِيَشْتَرِيَهَا، وَيَفْسَخَ بَيْعَ الْأَوَّلِ.

## ٦- "وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا":

هذا كالتعليل لما تقدم، وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا ما تقدم كانوا إخواناً، وفيه أمرٌ باكتساب ما يصير المسلمون به إخواناً من ردِّ السلام، وتشميت العاطس وغيرهما.

## ٧- "المُسلِمُ أَخُو المُسلِم، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ":

هذا مأخوذ من قوله عز وجل: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } فالأخ من شأنه أن يوصل إلى أخيه النفع، ويكف عنه الضرر، ومن أعظم الضرر: الظلم، ومن ذلك:

١- خذلان المسلم لأخيه، فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه.

٢- كذب المسلم لأخيه، فلا يحل له أن يحدثه فيكذبه.

٣- احتقار المسلم لأخيه المسلم، وهو ناشئ عن الكبر.

## ٨- "التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ":

فيه إشارة إلى أن كرم الخلق عند الله بالتقوى، والناس إنما يتفاوتون بحسبها، قال الله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }.

## ٩- "بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ":

يعني: يكفيه من الشرِّ احتقار أخيه المسلم، فإنه إنما يحتقر أخاه المسلم لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشرِّ.

وفي الحديث: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ".

١٠- "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ":

هذا ممَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ بِهِ فِي الْمَجَامِعِ الْعَظِيمَةِ، فَإِنَّهُ خَاطَبَ بِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ، وَيَوْمَ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

وَالْمُسْلِمَ لَا يَحِلُّ إِيصَالُ الْأَذَى إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ مِنْ الْوُجُوهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ بَغَيْرِ حَقٍّ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.





## ٣٦- مَنْ نَفْسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ نَفْسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلم.

### ١- معنى تنفيس الكربة وتفريجها:

الكُربة: هي الشدَّة العظيمة التي تُوقِعُ صاحبَهَا فِي الْكُرْبِ. وتنفيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ، كَأَنَّهُ يُرَخَّى لَهُ الْخُنَاقُ حَتَّى يَأْخُذَ نَفْسًا. والتفريجُ: أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الْكُربةُ، فَيَزُولَ هُمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّفْرِيجُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ، فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

### ٢- "وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ":

يدلُّ عَلَى أَنَّ الْإِعْسَارَ قَدْ يَحْصُلُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: {وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا}.

والتيسير على المعسر يكون بأحد أمرين:

١- بإظهاره إلى الميسرة، وذلك واجب، كما قال تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}.

٢- بالوضع عنه أو بإعطائه ما يزول به إفسارُه، وكلاهما له فضل عظيم، وفي الحديث: "كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ".

٣- الذي يدخل في "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا":

١- سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالسه.

٢- سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه، ومذاكرته، والتفهم له، ونحو ذلك.

٤- المراد بـ "سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ":

١- أَنَّ اللَّهَ يَسْهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَيُسِّرُّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ طريق موصول إلى الجنة.

٢- أَنَّ اللَّهَ يُيسِّرُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ وَالْعَمَلَ بِمَقْتَضَاهُ، فَيَكُونُ سَبَبًا لِهَدَايَتِهِ وَلِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ، وَقَدْ يُيسِّرُ اللَّهُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ عُلُومًا أُخَرَ يَنْتَفِعُ بِهَا، وَتَكُونُ مَوْصِلَةً إِلَى الْجَنَّةِ.

٣- تسهيل طريق الجنة الحسي يوم القيامة وهو الصراط وما قبله وما بعده من الأحوال.

فلا طريقَ إلى معرفة الله، وإلى الفوزِ بقربه، إلاّ بالعلم النافع الذي بعثَ الله به رُسُلَه، وأنزل به كتبه.

## ٥- "وما جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ...":

هذا يدلُّ على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وجزاء الذين يتدارسون كتابَ الله أربعة أشياء:

١- تَنْزِلُ السَّكِينَةُ عَلَيْهِمْ. ٢- غَشِيَانُ الرَّحْمَةِ، قال الله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}.

٣- أن الملائكة تحفُّ بهم. ٤- أن الله يذكرُّهم فيمن عنده، بثنائه عليهم في الملائكة الأعلى بين ملائكته ومباهاتهم بهم. وهذه الخصال الأربع لكلِّ مجتمعين على ذكر الله تعالى.

## ٦- معنى "وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ":

أنَّ العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، فإنَّ الله تعالى رَتَّبَ الجزاءَ على الأعمال، لا على الأنساب، قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}.



## ٣٧- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا، فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

### ١- روايات الحديث:

في رواية لمسلم زيادة في آخر الحديث: "وَمَحَاَهَا اللَّهُ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ" والمعنى: أَنَّ السَّيِّئَةَ: إمَّا أَنْ تُكَتَبَ وَاحِدَةً، أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَسْبَابِ كَالْتَوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ. وبعد هذا الفضل العظيم من الله، لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مَنْ هَلَكَ وَتَجَرَّأَ عَلَى السَّيِّئَاتِ، وَرَغِبَ عَنِ الْحَسَنَاتِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَ وَخَدَّاهُ عَشْرَاتِهِ).

### ٢- توضيح كتابة الحسنات والسيئات:

- ١- عمل الحسنة فتضاعف بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.
- ٢- عمل السيئة فتكتب بمثلها من غير مضاعفة.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ  
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} لكن السيئة تعظم  
أحياناً بشرف الزمان أو المكان؛ وكان جماعة من الصحابة  
يتقون سُكنى الحرم، خشية ارتكاب الذنوب فيه.

٣- الهمُّ بالحسنات، فتكتب حسنة كاملة، والهمُّ: هو العزمُ  
المصمَّم مع الحرص على العمل، لا مجرد الخطرة التي تنفسخ  
من غير عزمٍ ولا تصميم.

٤- الهمُّ بالسَّيِّئَات من غير عملٍ لها، وفي حديث أبي هريرة  
قال: "إِنَّمَا تَرَكَّهَا مِنْ جَرَّايَ" يعني: من أجلي، فالمراد مَنْ قَدَرَ  
على ما همَّ به مِنَ المعصية، فتركه الله تعالى.

وَأَمَّا إِنْ سَعَى فِي حُصُولِهَا بِمَا أَمَكْنَهُ، ثُمَّ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا  
الْقَدْرُ، فَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ أَنَّهُ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا حِينَئِذٍ لِحَدِيثٍ: "إِنَّ اللَّهَ  
تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمَ".

ومن سعى في حُصول المعصية جَهْدَهُ، ثُمَّ عَجَزَ عَنْهَا، فَقَدْ  
عَمِلَ بِهَا، وفي الصحيحين عن أبي بكرة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ  
وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بِالِ  
الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ".



## ٣٨- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَنْ سَأُنِيَ لِأَعِيتَنَّهُ، وَلَنْ اسْتَعَادَنِي لِأَعِيدَنَّهُ». رواه البخاري.

### ١- تخریج الحديث:

تفرّد بإخراجه البخاري من دون بقية أصحاب الكتب.  
وقد قيل: إنه أشرف حديثٍ رُوي في ذكر الأولياء.

### ٢- "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ":

يعني: فقد أعلمته بأنّي محاربٌ له، حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي، وجميع المعاصي محاربة لله عز وجل، لكن كلما كان الذنب أقرب، كانت المحاربة لله أشد، فمن عادى أولياء الله، فقد عادى الله وحاربه.

### ٣- "وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ":

ذكر وصف أوليائه الذين تحرّم معاداتهم، وتجب موالاتهم.

وأصلُ الولاية: القربُ، وأصلُ العداوة: البعدُ، فأولياءُ الله هُمُ الذين يتقَرَّبون إليه بما يقرَّبهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه.

فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين:

- ١- من تقَرَّب إليه بأداء الفرائض من فعل الواجبات، وترك المحرِّمات، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين.
- ٢- من تقَرَّب إليه بعدَ الفرائض بالنوافل، والانكفافِ عن دقائق المكروهات بالورع، فهذه درجة السابقين المقربين.

فلا طريق يُوصِلُ إلى التقَرُّبِ إلى الله تعالى، وولايته، سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمن ادَّعى ولايةَ الله، بغير هذه الطريق، تبَيَّن أنه كاذبٌ في دعواه، كما كان المشركون يتقَرَّبون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دُونِه، فقالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.

٤- "فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ..." :

المراد: أنَّ من تقَرَّب إلى الله بالفرائض ثمَّ بالنوافل قَرَّبه إليه، ورقَّاه إلى درجة الإحسان، فيَعْبُد الله كأنه يراه، ويمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى، حتَّى يصيرَ هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا له بعين البصيرة، ومتى امتلأ القلبُ بعظمةِ الله تعالى، محاذٍ من القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيءٌ من نفسه وهو، ولا إرادة إلاَّ لما يريدُه منه مولاه، فحينئذٍ لا ينطقُ العبدُ إلاَّ بذكره، ولا يتحرَّك إلاَّ بأمره، فإنَّ نطقَ، نطقُ بالله، وإنَّ سمعَ، سمع به، وإنَّ نظرَ، نظر به، وإنَّ بطشَ، بطش به.

ومن أشار إلى غير هذا، فإنَّما يُشير إلى الإلحاد مِنَ الحلول، أو  
الاتِّحاد، والله ورسولُه بريئان منه.

**٥- "وَلَيْنُ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ، وَلَيْنُ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ":**

فهذا المحبوب له عند الله منزلةٌ خاصةٌ تقتضي أنَّه إذا سأل الله  
شيئاً، أعطاه إياه، وإن استعاذَ به من شيءٍ، أعاده منه، فيصير  
مجابَ الدعوة، وكان كثيرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ معروفًا بإجابة  
الدعوة، منهم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد.





## ٣٩- إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

**"إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ":**

تقديره: إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، أَوْ تَرَكَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، فَإِنَّ (تَجَاوَزَ) لَا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، وَالثَّلَاثَةُ أَشْيَاءُ الْمَتَجَاوِزِ عَنْهَا هِيَ:

١- الْخَطَأُ: هُوَ أَنْ يَقْصِدَ فَعْلَ شَيْءٍ، فَيُصَادَفَ فَعْلُهُ غَيْرَ قَصْدِهِ.

٢- النَّسْيَانُ: أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا لَشَيْءٍ، فَيَنْسَاهُ عِنْدَ الْفَعْلِ.  
وَكِلَاهُمَا مَعْفُوٌّ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} وَفِي الْحَدِيثِ: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ".

وَكُونُهُمَا مَعْفُوًّا عَنْهُمَا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَكِنْ رَفْعُ الْإِثْمِ لَا يُنَافِي أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَى نَسْيَانِهِ حَكْمٌ، فَلَوْ تَرَكَ الصَّلَاةَ نَسْيَانًا، ثُمَّ ذَكَرَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ".

٣- الْإِكْرَاهُ: صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ}.



## ٤٠- كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ، فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

### ١- أهمية الحديث ومعناه:

هو أصلٌ في قِصَرِ الأمل في الدنيا، وعدم اتخاذها وطناً، وقد اتَّفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون أنه قال: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة، فإنه يكون على أحد هذين الحالين:

١- كَأَنَّهُ غَرِيبٌ فِي الدُّنْيَا يَتَخَيَّلُ الإقامة في بلد غُربةٍ، فهو غيرُ متعلِّقٍ بها، بل قلبه متعلِّقٌ بوطنه الذي يَرْجِعُ إليه، ومن كان كذلك، فلا همَّ له إلا في التزوُّد بما ينفعه عند عودِه إلى وطنه.

٢- كَأَنَّهُ مُسَافِرٌ غَيْرُ مُقِيمٍ البتة، وإنَّما هو سائرٌ في سفره حتَّى ينتهي به السفرُ إلى آخره، وهو الموت، ومن كان كذلك، فهِمَّتُهُ تحصيلُ الزاد للسفر، وليس الاستكثار من متاع الدنيا.

وأما وصيةُ ابن عمر رضي الله عنهما: فهي مأخوذةٌ من هذا الحديث الذي رواه، وهي متضمنةٌ لنهايةِ قِصَرِ الأمل، وأنَّ الإنسان إذا أمسى لم ينتظر الصَّبَاحَ، وإذا أصبح، لم ينتظر المساء، بل يظنُّ أنَّ أَجَلَهُ يُدْرِكُهُ قبل ذلك.

## ٢- (وَأْخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ):

يعني: اغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت.

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ويحال بينه وبينها؛ فلا يبقى له عندها إلا الحسرة وتمنى الرجوع إلى حالة يتمكن فيها من العمل، فلا تنفعه الأمنية، قال تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

اغتنم في الفراغ فضل ركوع... فعسى أن يكون موتك بغتة  
كم صحيح رأيت من غير سقم... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة



## ١٤- لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّة" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

### ١- معنى الحديث:

الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيحبُّ ما أمر به، ويكره ما نهى عنه.

### ٢- الذي تقتضيه المحبة الصحيحة:

تقتضي المتابعة والموافقة في حبِّ المحبوبات وبغضِ المكروهات، وأنَّ يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحبِّ والبغض. فَإِنْ عمل بجوارحه شيئاً يُخَالِفُ ذلك؛ دلَّ على نقص محبَّته فعليه أنْ يتوبَ من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة. وجميعُ المعاصي والبدع تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله.

وحبُّ الأشخاص: يكون تَبَعاً لمحبة الله والرسول صلى الله عليه وسلم، فيحبُّ أولياء الله ويبغض أعدائه فيكون الدِّينُ كُلُّهُ لله.



## ٢٤- يا ابن آدم، إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

### ١- تخریج الحديث:

تفرّد به الترمذي، وإسناده لا بأس به.

## ٢- "إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي":

يعني: على كثرة ذنوبك وخطاياك، ولا يتعاضمني ذلك، ولا أستكثره.

والدعاء مع الرجاء هو السبب الأول من أسباب المغفرة التي ذكرها الحديث، والدعاء مأمورٌ به، وموعودٌ عليه بالإجابة، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} لكن الدعاء سببٌ مقتضٍ للإجابة مع استكمال شرائطه، وانتفاء موانعه، ومن أعظم شرائطه: حضور القلب.

### ٣- السبب الثاني من أسباب المغفرة: الاستغفار:

ولو عظمت الذنوب، وبلغت الكثرة عَنان السماء، وهو السَّحاب. وقيل: ما انتهى إليه البصر منها.

والاستغفار: طلبُ المغفرة، وهي: وقاية شرِّ الذنوب مع سترها.

وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبدُ بالثناء على ربِّه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، ففي الحديث: "سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ".

### ٤- التوحيد:

وهو السببُ الثالث والأعظم للمغفرة، فمن فقدَه، فَقَدَ المغفرة، ومن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملؤها أو ما يُقارب ملاءها - خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، لكنَّ هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غَفَرَ له، وإن شاء أخذَه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يُخلَّدَ في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة.



## ٣٤- ألحقوا الفرائض بأهلها

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبَقَتِ الْفَرَائِضُ، فَلَأُولَى رَجُلٍ ذَكَرٍ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

### الذي يبيته الحديث:

١- كيفية قسمة الموارث المذكورة في كتاب الله بين أهلها.

٢- كيفية قسمة ما فضل من المال عن تلك القسمة ممّا لم يُصرَّح به في القرآن من أحوال أولئك الورثة وأقسامهم.

٣- كيفية توريث بقية العصابات الذين لم يصرَّح بتسميتهم في القرآن، فإذا ضُمَّ هذا الحديث إلى آيات القرآن، انتظم ذلك كله معرفة قسمة الموارث بين جميع ذوي الفروض والعصابات.



## ٤٤ - الرِّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرِّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

### تخريج الحديث ومعناه:

الحديث خرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ عُمَرَ عَنْ عَائِشَةَ. وَخَرَّجَ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يُحَرِّمُ مِنَ النَّسَبِ». وَخَرَّجَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي الْجُمْلَةِ، وَإِنَّ الرِّضَاعَ يُحَرِّمُ مَا يُحَرِّمُهُ النَّسَبُ.





## ٤٥- إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنِزِيرِ وَالْأَصْنَامِ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السَّفْنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ قَالَ «لَا هُوَ حَرَامٌ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتِلِ اللَّهَ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

### أحاديث موافقة لهذا الحديث:

١- حديث أبي هريرة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قَاتِلِ اللَّهَ يَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا".

٣- حديث ابن عباس: أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاوِيَةَ خَمْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟" قَالَ: لَا. فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِمَ سَارَرْتَهُ؟" فَقَالَ: أَمْرَتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: "إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا". قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَةَ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهَا.

فالحاصل: أَنَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ، فَإِنَّهُ يَحْرُمُ بَيْعُهُ وَأَكْلُ ثَمَنِهِ وَهَذَا يَطْرُدُ فِي كُلِّ مَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ حَرَامًا.



## ٦٤- كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرَبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: «وَمَا هِيَ؟» قَالَ: الْبِتُّعُ وَالْمِزْرُ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: وَمَا الْبِتُّعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ.

### أهمية الحديث ومعناه:

هو أصل في تحريم تناول جميع أنواع المُسكرات.

والمسكر المزيل للعقل نوعان:

١- ما كان فيه لَذَّةٌ وطَرَبٌ، فهذا هو الخمر المحرَّم شربه، وأدخل العلماء في ذلك الحشيشة التي تُعمل من ورق القَنْبِ، وغيرها ممَّا يُؤْكَلُ لأجل لذَّته وسكره، وفيه الحدُّ؛ لأنَّه هو الذي تدعو النفوس إليه، فجُعِلَ الحدُّ زاجراً عنه.

٢- ما يُزِيلُ الْعَقْلَ ويسكر، ولا لَذَّةٌ فيه ولا طَرَبٌ، كالبنج ونحوه، فإن كان تناوله حاجةً للتداوي به، وكان الغالبُ منه السلامة جاز.

وإن تناول ذلك لغير حاجة التداوي، فهو محرم؛ لأنَّه تسبَّب إلى إزالة العقل لغير حاجة، فحرم كشرب المسكر. وليس فيه سوى التعزير؛ لأنَّه ليس في النفوس داع إليه حتَّى يحتاج إلى حدٍّ مقدَّر زاجرٍ عنه، فهو كأكل الميتة ولحم الخنزير.



## ٤٧- ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتٍ يُقْمَنُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتُلُتْ لِطَعَامِهِ، وَتُلُتْ لِشَرَابِهِ، وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ». رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

### ١- أهمية الحديث ومعناه:

هو أصل جامع لأصول الطب كُلِّها، فأصل كلِّ داء التَّخَمُّ.

وقال الحارث بن كَلْدَةَ طبيبُ العرب: (الْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، وَالبِطْنَةُ رَأْسُ الدَّاءِ).

وأما منافعُه بالنسبة إلى القلب وصلاحه، فَإِنَّ قِلَّةَ الغِذَاءِ توجب رِقَّةَ القلب، وقوَّةَ الفهم، وضعفَ الهوى والغضب، وكثرةُ الغِذَاءِ توجب ضدَّ ذلك، وقال سفيان الثوري: (إِنْ أُرِدْتَ أَنْ يَصِحَّ جِسْمُكَ، وَيَقَلَّ نَوْمُكَ، فَأَقِلَّ مِنَ الْأَكْلِ).

وقد كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يجوعون كثيراً، ويتقلَّلون من أكل الشَّهَوَاتِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِعَدَمِ وجودِ الطَّعَامِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْتَارُ لِرَسُولِهِ إِلَّا أَكْمَلَ الْأَحْوَالِ وَأَفْضَلَهَا.

ففي الصحيحين عن عائشة، قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

\*\*\*

## ٨٤- أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

### ١- معنى النفاق:

لغة: الخداع والمكر وإظهار الخير، وإبطان خلافه.

شرعا: ينقسم إلى قسمين:

١- النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإيمان، ويُبطن ما يُناقض ذلك، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزل القرآن بدمِّ أهله وتكفيرهم.

٢- النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يُظهر الإنسان علانيةً صالحَةً، ويُبطن ما يُخالف ذلك.

### ٢- أصولُ النفاق العملي:

ترجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث، وهي خمسة:

١- أن يُحدِّثَ بحديثٍ لمن يصدِّقه به وهو كاذب له.

٢- إذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وهو على نوعين:

أحدهما: أن يَعِدَ وفي نيته أن لا يفي بوعدِهِ، وهذا أشرُّ الخلف.

الثاني: أَنْ يَعِدَ وَمَنْ نِيَّتَهُ أَنْ يَفِي، ثُمَّ بَعْدَهَا يُخْلِفُ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ.

٣- إِذَا خَاصَمَ فَجْرًا، وَيَعْنِي بِالْفَجْرِ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْحَقِّ عَمْدًا.

فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ ذَا قُدْرَةٍ أَنْ يَنْتَصِرَ لِلْبَاطِلِ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَقْبَحِ الْمَحَرَّمَاتِ، وَمَنْ أَخْبَثَ خِصَالَ النِّفَاقِ.

٤- إِذَا عَاهَدَ غَدْرًا، وَلَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ.

٥- الْخِيَانَةُ فِي الْأَمَانَةِ، فَأَدَاءُ الْأَمَانَاتِ وَاجِبٌ.

### ٣- أَكْثَرُ خِصَالَ النِّفَاقِ الْعَمَلِيُّ سَوْءٌ:

أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا، وَيُظْهِرَ أَنَّهُ قَصْدٌ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّمَا عَمَلُهُ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى غَرَضٍ لَهُ سَيِّئٍ، فَيَتَمَّ لَهُ ذَلِكَ، وَيَتَوَصَّلَ إِلَى غَرَضِهِ، وَقَدْ حَكَى اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ: {اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَخْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

### ٤- خَوْفُ الصَّحَابَةِ مِنَ النِّفَاقِ:

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: (وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ. وَيُذَكِّرُ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمَنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ).

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَخْشَى إِذَا تَغَيَّرَ عَلَيْهِ حُضُورُ قَلْبِهِ وَاشْتَغَلَ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ يَكُونُ ذَلِكَ نِفَاقًا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ حَنْظَلَةَ.

\*\*\*

## ٩٤- لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا». رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في "صحيحه" والحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح.

### ١- أهميته:

هو أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق، قال الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

والتوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وقال سعيد بن جبير: (التوكل جماع الإيمان).

وثمرته: الرضا بالقضاء، فمن وكل أموره إلى الله ورضي بما يقضيه له، ويختاره، فقد حقق التوكل عليه.

### ٢- عدم منافاة تحقيق التوكل للسعي في الأسباب:

فالله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}.

\*\*\*

## ٥٠- لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابَ نَتَمَسَّكَ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِهَذَا اللَّفْظِ.

### ١- أهمية ذكر الله:

١- أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه ذكراً كثيراً، ومدح من ذكره كذلك؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.

وفي مسلم عن أبي هريرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: "سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ" قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ".

وفيه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ.

والمعنى: في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو على حدث.

٢- وصف الله تعالى المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، فمن أكثر ذكر الله، فقد باينهم في أوصافهم، ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله، وأن لا يُلْهِى الْمُؤْمِنَ عَنْ ذَلِكَ مَالٌ وَلَا وَلَدٌ، وأن من ألْهَاهُ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فهو من الخاسرين.

٣- كلما قويت المعرفة، صار الذكر يجري على اللسان من غير كلفة، ولهذا يلهم أهل الجنة التسبيح، كما يلهمون النفس.

٤- أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **"رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"**.

٥- الذكر لذة قلوب العارفين، قال عز وجل: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}** وقال مالك بن دينار: (ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل).

## ٢- وظائف الذكر الموظفة في اليوم واليلة:

١- فرض الله على المسلمين أن يذكروه كل يوم وليلة، بإقامة الصلوات الخمس، وشرع لهم مع هذه الفرائض ذكراً يكون لهم نافلة، فإن كان في الفريضة نقص، جبر نقصها بهذه النوافل، وإلا كانت النوافل زيادة على الفرائض.

وأطول ما يتخلل بين مواقيت الصلاة، شرع فيها صلاة تكون نافلة؛ لنألاً يطول وقت الغفلة عن الذكر، فشرع ما بين العشاء والفجر: قيام الليل، وما بين الفجر والظهر: الضحى.

٢- الذكر باللسان: وهو مشروع في جميع الأوقات، ويتأكد في بعضها:

١- عقيب الصلوات المفروضات.

٢- بعد الصلاتين اللتين لا تطوع بعدهما، فيُشرع الذكر بعد الفجر إلى أن تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وهما أفضل الذكر **{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}**.



٣- إذا آوى إلى فراشه للنوم، ينام على طهارة وذكر.

٤- إذا قام إلى الوضوء والتهجد، أتى بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويختتم تهجده بالاستغفار في السحر.

٥- تجب التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ}.

فمن حافظ على ذلك، لم يزل لسانه رطباً بذكر الله في كل أحواله.



ثم بحمد الله